خاتمة المستدرك

[197] والانواع، من خطب وكتب، ومواعظ وحكم، وبوبناه أبوابا ثلاثة، يشتمل على هذه الاقسام مميزة مفصلة، وقد عظم الانتفاع به، وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدايعها، وشرايف الكلم ونفائسها، وجواهر الفقر وفرائدها. وكلامه صلى ا عليه مع ما ذكرنا من علو طبقته، وخلؤطريقه، وانفراد طريقته، فإنه إذا حؤل ليلحق غاية من أدنى غايات القرآن، وجد ناكسا متقاعسا، ومقهقرا راجعا، وواقفا بليدا، وواقعا بعيدا، على أنه الكلام الذي وصفناه بسبق المجارين، والعلو عن المسامين. فما ظنك بما دون ذلك من كلام الفصحاء، وبلاغات البلغاء، الذي يكون بالقياس إليه هباء منثورا، وسرابا غر ورا ؟ ! وهذا الذي ذكرناه أيضا من معجزات القرآن إذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المفكر، إذ كان الكلام المتناهي الفصاحة، العالي الذروة، البعيد المرمى والغاية إذا قيس إليه وقرن به شال في ميزانه، وقصر عن رهانه، وصار بالاضافة إليه قالصا بعد السبوغ، وقاصرا بعد البلوغ، ليصدق فيه قول أصدق القائلين سبحانه إذ يقول: * (وإنه لكتاب عزيز * لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدا) * (1). وقد ذهبنا من غرض المسالة بعيدا، للداعي الذي دعانا، والمعنى الذي حدانا، ونحن نعود إلى عود القول فيها باذن ا. وقد كان بعض من رام كسر المذهب الذي - تقدم ذكرنا له - عن المبرد، واختيارنا طريقته فيه، ساله عن قول ا سبحانه: * (هذا بلاغ للناس و لينذروا به) * (2) فقال: قد علمنا أن هذه (اللام) لام كي، فما معنى إدخال

---

(1) فصلت 41: 41 - 42. (2) إبراهيم 14: 52. (*)